تقدير موقف

العلاقات الأمريكية السعودية

بين الإرباك في المنطقة والتصعيد في لبنان

المصدر: فريق مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021

العلاقات الامريكية السعودية

بين الارباك في المنطقة والتصعيد في لبنان

ظاهريّا، انتهجت الادارة الامريكية الجديدة سياسة مغايرة لإدارة ترامب تجاه السعودية، مع الاخذ بالاعتبار غلبة رؤية الاتجاه التقدمي في الحزب الديمقراطي والأخذ بتوجهاته والذي يدعو إلى تعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الانسان، إضافة الى استراتيجية تخفيض الوجود العسكري في المنطقة، وإلى العودة للاتفاق النووي مع إيران وإلى إعادة ضبط العلاقات الأمريكية مع دول الخليج بما يخدم مصالحها. من ناحية اخرى، تم رفع اسم الحوثيين من قائمة الجماعات الراعية للإرهاب وتعليق صفقات أسلحة لكل من السعودية والامارات كانت ستستخدم في العدوان على اليمن والدعوة لتفعيل المساءلة عن انتهاكات حقوق الانسان في المملكة مقابل الاستمرار في علاقات الاعمال. هذه الإجراءات الامريكية أظهرت توترا في العلاقات الامريكية السعودية وتخليا – بالحد الأدنى ظاهريا-عن دعم الولايات المتحدة للتحالف الذي تقوده السعودية في العدوان على اليمن.

من الواضح أنّ السعودية شهدت تحوّلا في السنوات العشرين الماضية، لا سيما في ظل ازدياد نفوذ محمد بن سلمان الذي برز كجهة فاعلة أساسية في عام 2015 عندما أصبح والده ملكا، وجرى تعيينه وزيرا للدفاع، وعلى الرغم من الخطط التي وضعها فيما يسمى (الرؤية 2030) الا أن حملة العلاقات العامة التي قادها اقترنت بتكلفة على سمعته، ولا سيما قتل وملاحقة المعارضين خارج السعودية وعلى رأسهم جمال خاشقجي الذي قتل وقطعت جثته في مقر السفارة السعودية في إسطنبول في عام 2018. كما أن حادثة احتجاز عدة مئات من رجال الاعمال السعوديين البارزين وابتزازهم ماليا في فندق "ريتز كارلتون" في الرياض عام 2017 شكلت أيضا ولا تزال الى حدّ ما جرس انذار بالنسبة لبعض المستثمرين الأجانب. من الواضح أن قضية خاشقجي قد طرحت تحديا اخر بالنسبة للعلاقات الامريكية-السعودية، فالبيت الأبيض في عهد بايدن لا يتواصل بشكل مباشر مع محمد بن سلمان بل ترك امر العلاقات لنظيره وزير الدفاع لويد أوستن، وربما هذا مؤشر إضافي على برودة العلاقات بين بايدن ونظام ال سعود وتحديدا محمد بن سلمان ووالده. ظهرت بوادر الازمة بين الطرفين في عدة محطّات:

1. ملف النفط:

كان واضحا أنّ المشروع السعودي والمتمثل في رؤية 2030، بكل مكوناته وعناوينه يحتاج الى اتخاذ السعودية تدابير وسياسات لفك ارتباطها بالنفط ونقل خياراتها الى مستقبل غير قائم على المواد الهيدروكربونية. لكن الاستثمار في هذه

التقنيات المستقبلية يحتاج الى تمويل واسع ومهم، وعليه، ستحتاج السعودية لعائداتها النفطية أكثر من أي وقت مضى، مما يدفع بها الى إبقاء الإنتاج عند مستويات عالية نسبيا، والسعي الى فرض أعلى الأسعار.

في أيلول سبتمبر الماضي2021، كانت الرياض في طليعة منتجي النفط من داخل منظمة "أوبك" وخارجها من حيث تقييد الإنتاج، في قرار يهدف الى وقف ارتفاع الأسعار. ومع ذلك، تبقى عائدات النفط غير كافية لتحقيق التوازن في الميزانية السعودية. تبدو الازمة الحقيقية هنا، مرتبطة أساسا بموضوع ارتفاع أسعار النفط والذي لا يتناسب مع السياسات والمصالح الامريكية وقد يؤدي الى أزمة أكبر في سوق النفط، من المؤكد لن تقبل به الإدارة الامريكية ولن تتفاعل مع تداعياته بالشكل المطلوب. في الأسابيع الأخيرة، ارتفعت أسعار النفط بشكل حاد، وتم إلقاء اللوم جزئيا على السعودية في أزمة الطاقة العالمية الحالية.

يبدو أنّ الازمة الحقيقية التي تعيشها السعودية اليوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بفشلها في تحقيق أهدافها في العدوان على اليمن، وفشلها في السيطرة على القرار السياسي في لبنان على الرغم من الأموال والدعم الذي قدمته لحلفائها داخل الساحة اللبنانية، إضافة الى عدم قدرتها على تعويض خسارتها في ملفات أخرى سواء في سوريا او العراق. وعليه، بات النظام السعودي في مواجهة مع فشل سياسي وعسكري واستراتيجي ليس فقط في اليمن بل في كل ملفات المنطقة على الرغم من كل الإمكانات والغطاء الأمريكي والاوروبي على ما ارتكبه من جرائم وانتهاكات في عدوانه على الشعب اليمني. امام الارباك السعودي في مواجهة التطورات الميدانية على الأرض اليمنية، بدا السعودي في مأزق كبير جعله على يبدو يفتعل ازمة جديدة في لبنان، من خلال اعلان سحب السفير السعودي والطلب من السفير اللبناني بمغادرة الرياض وربما يتخطى القرار هذه الدائرة ليشمل دول خليجية أخرى خلال الأيام القادمة.

تعيش العلاقات الامريكية السعودية العديد من الارباكات بسبب عدم قدرة الإدارة الامريكية على التغاضي عن السياسات الفاشلة التي يقودها محمد بن سلمان والتي بدأت تشكّل عائقا امام المصالح الامريكية في العديد من الملفات، وربما هذا ما يفسر ـ تحامل الرئيس الأمريكي عليه واتهامه بالفشل بل وأكثر من ذلك بارتكابه جرائم حرب في اليمن وضد معارضيه. دخلت السعودية في سياسة تصعيد قصوى ضد لبنان تهدف من خلالها الى إعادة خلط الأوراق السياسية، وتشبيك اجندة مصالح جديدة مع الأمريكي، مواجهة إيران من خلال الساحة اللبنانية والتصعيد في سقف التفاوض معها، مواجهة حزب الله بشكل علني ومفتعل، وربما الذهاب بلبنان نحو مزيد من الانعزالية والفوضى لإسقاط العهد ومحاصرة المقاومة وبيئتها، وربما تطيير الانتخابات النيابية المقبلة.

2. توتر العلاقات الامريكية-السعودية:

كثر الحديث في الفترة الأخيرة عن توتر في العلاقات الامريكية السعودية، والذي وصفه البعض بالانقلاب الأمريكي على بن سلمان، خصوصا بعد ظهور مسؤول الاستخبارات السعودية الأسبق "سعد الجبري" في مقابلة تلفزيونية على شبكة "سي بي أس"، والذي كشف عن مكائد ولي العهد "محمد بن سلمان"، محذرا المجتمع الدولي من الخطر الذي يشكله "قاتل مختل عقليا في الشرق الأوسط بموارد لا حصر لها". بدت المقابلة في مشهدها المصور كالقنبلة الموقوتة التي رميت في أحضان بن سلمان حاملة رسالة واضحة، بأنّ عليه دفع الكثير ربما لتبييض صفحته السياسية السوداء. زعم "الجبري" أن "بن سلمان" هدد في عام 2014 بقتل العاهل السعودي الملك "عبد الله" (عمه الذي توفي عام 2015) بخاتم مسموم من روسيا من أجل تمهيد العرش لوالده الملك "سلمان". وزعم أيضا أن "بن سلمان" أرسل فرقة موت تعرف باسم "فرقة النمر" إلى كندا (حيث يعيش الجبري) لاغتياله بعد أسابيع فقط من مقتل الصحفي السعودي "جمال خاشقجي"، في أكتوبر/تشرين الأول 2018. وبعد فشله في اغتيال "الجبري"، رد "بن سلمان" باحتجاز اثنين من أبنائه في الرياض. ولا يزالون في السجن حتى الآن. وسوف تستمر هذه القصة في الظهور في حين يقف كلا الخصمين في معركة قضائية أمام المحاكم الأمريكية. ووجه "بن سلمان" اتهامات لـ "الجبري" بسرقة مليارات الدولارات أثناء عمله مستشارا لوزير الداخلية السابق "محمد بن نايف" الذي كان تحت يديه أموال ضخمة لتخليص السعودية من الإرهابيين. وبالإضافة إلى اتهام "بن سلمان" بالسعي لقتله في المنفى، يدعي "الجبري" أيضا أن لديه تسجيلات فيديو لتهديدات ولي العهد للملك "عبد الله". وفي عرض "سي بي إس"، بدا "الجبري" محبطا وخائفا على حياته ومستقبل أبنائه المحتجزين.

طرح التساؤل حول توقيت ظهور سعد الجبري وكشف هذه المعلومات، ويرجّح الكثير من المراقبين أنه يشكّل انقلابا أمريكيا على محمد بن سلمان وسياساته، ويبدو أن "الجبري" اختار المنفى في كندا بدلا من الولايات المتحدة، كي لا يحرج الإدارة الامريكية من جهة، وكي يمنح الفرصة لتحدي أسياده السابقين في الرياض. ويذهب الظنّ أيضا الى أنّ الولايات المتحدة وأجهزة استخباراتها تنوي لعب دور غير مباشر في تحطيم حلم "بن سلمان" بالجلوس على العرش. فالسعودية، من حيث أهميتها الجيوسياسية ومواردها، تبقى ذات أهمية حيوية للمجتمع الدولي، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تظل مكتوفة الأيدي.

من هذا المنطلق، تبدو دوافع الولايات المتحدة في هذا المجال كثيرة، وربما تم بث حديث "الجبري" بسبب رغبتها في رؤية أمير بديل مسؤول عن السعودية، بحيث يكون شخص لم يشوه سمعة بلاده ولم ينفذ اغتيالات ضد الصحفيين في الخارج ولم يدفع مئات السعوديين إلى المنفى ولم يحتجز الآلاف في الداخل السعودي. من المؤكد أن مزاعم "الجبري" مقلقة للأمير الشاب في الرياض. فبعد عدة أعوام من المحاولة الجادة لمحو ذكرى مقتل "خاشقجي"، يواجه "بن سلمان" الآن تحديا علنيا من قبل شخص مطلع يعرف جيدا طريقة عمل الدولة السعودية العميقة. كما أن "الجبري" على دراية بالعلاقات الحميمة التي أقامتها السعودية مع وكالة الاستخبارات المركزية وأجهزة الاستخبارات الأخرى. وفي حال تورط الأخيرة في مزاعم مستقبلية، فإن ما كشف عنه "الجبري" سيكون مصدر إحراج ليس فقط للرياض ولكن لواشنطن أيضا.

يبدو أن "الجبري" مستعد لتقديم أدلة في المحكمة ضد "بن سلمان" في محاولة لتحرير أبنائه وإنقاذ سمعته، فخلال الفترة التي قضاها في وزارة الداخلية بالمملكة، كان "الجبري" مشاركا عن كثب في أنشطة مكافحة الإرهاب وكان من المفهوم أن له علاقات وثيقة مع أجهزة الاستخبارات الأمريكية تحت قيادة "بن نايف". هذا الأخير، الذي كان مسؤولا عن الأمن خلال الانتفاضات العربية في عام 2011، عندما كسر السعوديون صمتهم ونظموا مظاهرات للمطالبة بالعدالة. وتم اعتقال مئات الناشطين السلميين، في محاولة لإسكات المعارضين للنظام والمنتقدين لسياسة بن سلمان.

3. افتعال السعودية للازمات، محاولة للهروب من الفشل:

من المؤشرات على افتعال السعودية للازمات للهروب من فشلها في اليمن وفي المنطقة، التطورات الأخيرة التي حصلت في لبنان، حيث أعلنت السعودية سحب سفيرها من لبنان، وطلبت من السفير اللبناني لدى الرياض المغادرة وربما ستشمل هذه الخطوة دول خليجية أخرى تضامنا مع القرار السعودي. وفقا للوقائع التي عرضت، ارتبط هذا التصعيد بما قيل انها تصريحات لوزير الاعلام اللبناني " جورج قرداحي" حول الحرب على اليمن والتي تعود الى ما قبل تسلمه منصبه بالوزارة بأشهر، ويبدو أن السعودي، لم يستحسن هذه التصريحات التي وضعها في خانة التصريحات المعادية لسياسة السعودية، وعليه تم اتخاذ التدابير المذكورة كردّ عليها. لكن يبقى السؤال الأهم في هذه المرحلة ما هي الأسباب الحقيقية وراء الازمة مع لبنان؟ وهل تصريحات الوزير قرداحي ذريعة لما حصل؟

في الواقع، ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها السياسة السعودية للنقد، فقد سمعنا من العديد من الشخصيات الدولية والعالمية تصريحات سابقة حول السعودية، لكننا لم نرى تفاعلا ولا ردا عليها، لا من جهة رسمية ولا حتى غير

رسمية. يكفي ان نذكّر السعوديين بكلام سابق للرئيس الأمريكي بايدن في حوار مع "ان بي سي نيوز" في 21 تشرين الثاني نوفمبر 2019 حين قال" السـعودية يجب أن تدفع ثمن جرائمها في اليمن، يجب أن تكون السـعودية دولة منبوذة على الصـعيد الدولي، ويجب ملاحقة السـعوديين بتهم قتل الأطفال والابرياء"، هذا التصـريح الذي يبدو أكثر حدة وقسـوة على السعودية من تصريح الوزير قرداحي، لكننا لم نشاهد ردة فعل من قبل النظام السعودي عليه ولا حتى في اشارة غير مباشرة. إضـافة الى ذلك تصـريحات ترامب السـابقة التي لم تخلو من السـخرية والتنمر على الملك السـعودي وولي العهد، والتي قال فيها " تحدّثت هاتفيا وبشكل مطول مع الملك سلمان، وقلت له إنك تمتلك تريليونات من الدولارات، والله وحده يعلم ماذا سـيحدث للمملكة في حال تعرّضـت لهجوم. أيها الملك ربما لن تكون قادرا على الاحتفاظ بطائراتك إذا تعرّضت السعودية للهجوم، لكن معنا أنت في امان تام. لكننا لا نحصل في المقابل على ما يجب أن نحصل عليه.... نحن نحميك لذلك يجب عليك ان تدفع لنا".

تبقى هذه التصريحات أمثلة مصغّرة عن موجة انتقادات تعرضت لها السعودية وطالت محمد بن سلمان تحديدا من جهة دولية متعددة لم يقع الرد عليها ولا اتخاذ إجراءات قطع علاقات دبلوماسية او سياسية بسببها. لكن ما حصل في لبنان يدعو للوقوف أكثر حول خلفيات هذا القرار وما تبعه من تصعيد سياسي واعلامي مدبّر للنيل من شخص الوزير قرداحي أولا ثم من سيادة الدولة اللبنانية وقرارها ثانيا.

يبدو ان الموضـوع يتجاوز بكثير قضـية تصـريح الوزير قرداحي او حتى ما سرب بعد ذلك عن تصـريح لوزير الخارجية اللبناني عبد الله بو حبيب، فمن الواضـح انه تم اسـتخدام هذه التصـريحات بشـكل مفتعل ومفبرك ومدبّر كذريعة للقيام بخطوات تصعيدية تجاه لبنان. فمن غير المنطقي ان تقدم السعودية على ما أقدمت عليه، فقط بسبب تصريح من هنا او هناك. واضح ان الامر لا علاقة له أبدا من قريب ولا من بعيد بموقف قرداحي السابقة ولا حتى بالذي سرب على لسـان وزير الخارجية لمزيد من التصـعيد والذهاب نحو احراج الرئيس نجيب ميقاتي وربما اجبار حكومته على الاسـتقالة. في الأسـابيع الأخيرة بدا أن هناك أمور كثيرة تزعج السـعودية في المنطقة، ربما قد يسـاعد هذا الامر في فهم ابعاد وخلفيات هذا التصعيد تجاه لبنان:

أوّلا: هناك تقدم في مجريات الاحداث والوقائع والمسـتجدات العسـكرية والاسـتراتيجية في الملف اليمني، حيث يحقق الحوثيون انجازات في التقدم نحو تحرير مزيد من الأراضي في محيط مأرب التي أصـبح جزء كبير منها محررا اليوم،

والكل يعرف الأهمية السياسية والعسكرية والاستراتيجية لهذا الإنجاز وتداعياته السلبية على قوى العدوان السعودي والاماراتي وداعمهما الأمريكي. المؤشرات تقول انه في حال سقوط مأرب فهذا سيعني تحولا كبيرا في الحرب في اليمن وهو أمر سيمثل مأزقا حقيقيا للسعودية.

ثانيًا: الحديث عن إمكانية عودة التفاوض الأمريكي-الإيراني حول الملف النووي والذي يشكّل مصدر قلق للسعودية.

ثالثًا: كان هناك بعض التوتر بين الولايات المتحدة والنظام السعودي مرتبط بارتفاع أسعار النفط الذي ترفضه الولايات المتحدة، وترافق هذا الخلاف مع سماح الولايات المتحدة لاحد المعارضين السعوديين بالظهور على وسائل الاعلام والادلاء بتصريحات والكشف عن معطيات تستهدف محمد بن سلمان شخصيا.

رابعا: التركيز على لبنان لأنه الساحة الرخوة التي يمكن للسعودية استغلالها لتصفية الحسابات مع خصومها المحليين والاقليميين، وربما للضغط باتجاه التفاوض مع الإيرانيين في العديد من الملفات.

هذه الأمور مجتمعة، تحرك الموقف السعودي في المنطقة. وهنا يطرح السؤال الأساسي، هل ان السعودية تتحرك كردّة فعل تجاه الموضوع اليمني، أو كنوع من الضغط ربما على إيران وعلى حزب الله لمحاولة إيقاف ما يجري في اليمن؟ هل هي محاولة تعويض معنوية نوعا ما؟ وهل ان الامر هو على عكس ذلك يشمل ملفات أخرى، كالانتخابات النيابية المقبلة في لبنان، وإعلان التطبيع مع الكيان المحتل، او جرّ الحكومة في لبنان والجيش لمواجهة مع حزب الله...؟

ما أقدمت عليه السعودية المأزومة من كل التطورات في المنطقة، مؤشر على رغبتها في ازعاج الإيرانيين والامريكيين ولو بدرجة أقلّ بالتصعيد في لبنان لأنها تعرف ان هناك مصالح لإيران ومصالح للولايات المتحدة، وبالتالي تعتقد بأنّ هذا التصعيد سيجلب هاذين اللاعبين الأساسيين في المنطقة للتفاوض معها في أكثر من ملف. قد يكون هذا التصعيد من البوابة اللبنانية فرصة، يعتقد السعودي انها ستخدم مصالحه التي يبدو انها ذاهبة نحو الفوضى أكثر وبطرف مختلفة. تحاول السعودية التغطية على فشل سياساتها في المنطقة، من اليمن الى لبنان، حيث تعتمد نوع من التشفيّ ضد الأكثرية وضد العهد (الرئيس عون) وضد حزب الله. يأتي هذا التصعيد في سياق التعبئة الانتخابية في محاولة للاستفادة مما حصل بتعبئة المزيد من اللبنانيين بالقول ان وجود هذه الأكثرية او هذا العهد او فوزهم في الانتخابات سيؤدي الى قطيعة مع كل دول الخليج وليس فقط السعودية، حيث هناك مصالح تجارية واقتصادية وبالتالي هذا التصعيد قد يخيف بعض الطوائف وبعض البيئات ويربك الناخبين فيدفعهم الى موقف أكثر حدة ضد رئيس الجمهورية وضد حزب الله وحلفائه. يذهب الظن هنا الى ان السعودية وفي محاولة استباقية لما قد تؤول اليه نتائج الانتخابات المقبلة، تحاول العمل على عرقلة أي تغيير او تطور قد يربك نفوذها وصورتها، خاصة امام ضعف حلفائها وعلى رأسهم سمير جعجع

رئيس حزب القوات اللبنانية الذي لم يستفد الى حد الان من كل الدعم السعودي له، بل على العكس من ذلك، لم تنجح سياسة التحريض والفتنة (احداث الطيونة الأخيرة وعلى خط التماس بين عين الرمانة ومنطقة الشياح) التي تبناها حزب القوات اللبنانية للتصويب على العهد وخاصة حزب الله في تحقيق أي من الأهداف المرجوّة، كما لم تنجح في جرّ حزب الله لاقتتال داخلي واستنزاف قدراته في صراع طائفي قد يؤدي الى حرب أهلية يُعرف متى تبدأ ولا يُعرف متى تنتهي. إضافة الى أن سياسة التحريض الفتنوية ومحاولة تخويف المسيحيين من حزب الله أتت بنتائج عكسية تماما، حيث بدا الفشل واضح في المراهنة على سمير جعجع الذي يعرف جميع اللبنانيين والمسيحيين بالدرجة الأولى تاريخه الاجرامي وسياساته وخياراته الفاشلة التي لم تأت الا بالخراب للبنان، ودفع المسيحيون بسببها اثمانا غالية من التهجير والتغيير الديمغرافي. من هذا المنطلق، فانّ رهان السعودية على سمير جعجع فشل استراتيجي وخطأ فادح في الحسابات السياسية، لكن يبدو أنّ السعودي وبسبب عدم قدرة قيادته الحالية على الاستشراف الصحيح، وانتباهه الى أن هذا التراجع الذي يعاني منه حليفه القواتي سيكون له تداعيات سلبية على المصالح السعودية في لبنان في أي جولة انتخابية مستقبلية، (مهما كان قانون الانتخاب المعتمد ومهما كانت التصورات والتوقعات بإمكانية وصول اغلبية حاكمة حليفة للسعودية)، لم يجد امامه من حلّ سوى التصعيد بهذا الاتجاه وقيادة بروباغندا إعلامية داخل لبنان وخارجه للتصويب على حزب الله وحلفائه.

هذا التصعيد السعودي سواء بالتركيز على تصريحات كل من الوزير قرداحي او التصريحات المسربة لوزير الخارجية عبد الله بو حبيب، او الحملات الإعلامية المنظمة ضد الرئيس عون وضد حزب الله هو محاولة لشحن جزء من البيئات اللبنانية ضد الرئيس وضد المقاومة وبيئتها. إضافة الى ذلك هو حلم سعودي بالفوضى في لبنان التي وفق تقديره ان نجحت ستقضي على قدرات حزب الله وقوته. يبدو ان السعودية في مأزق حقيقي، بسبب سياساتها التصعيدية تجاه لبنان التي لن تجني منها شيئا، فهي غير قادرة على تغيير موازين القوى الداخلية ولا الإقليمية، إضافة الى مأزق مواجهة انتصار اليمنيين على عدوانها الغاشم الذي يبدو انه أصبح قاب قوسين او أدني.